رسالة صاحب الجلالة الملك محمد السادس

إلى ملتقى الأديان

بروكسل، 03 شوال 1422هـ الموافق 19 دجنبر 2001م

وجه أمير المؤمنين، صاحب الجلالة الملك محمد السادس، نصره الله، رسالة إلى ملتقى الأديان ببروكسل، هذا نصها:

"الحمد لله رب العالمين والسلام على جميع أنبيائه المرسلين،

أصحاب السمو والمعالي والفضيلة،

حضرات السيدات والسادة،

يطيب لي أن أتوجه إليكم في افتتاح أعمال هذا الملتقى الهام، بتحية السلام وعبارات الإشادة والامتنان لكل من البطريركية المسكونية التي قامت بهذه المبادرة المباركة في تنظيم هذه الندوة حول حوار الأديان تعبئة منها لكل الإرادات النيرة من ممثلي الأديان الثلاثة للتصدي لما يتهدد عالم اليوم من مخاطر.

كما أعرب عن إشادتي برعاية الاتحاد الأوروبي لهذه الندوة ولما يبذله من مساع دؤوبة لصيانة السلام والدعوة إلى التفاهم والحوار وإشاعة روح التعاون والتضامن، معبرا عن عميق اعتزازي بدعوتهم إياي لتوجيه رسالة افتتاحية لأشغال هذه الندوة اعتبارا للعناية البالغة التي أوليها لكل عمل يستهدف التقريب بين الأديان والحضارات والتآخي بين الناس.

إن ملتقاكم هذا يكتسي أهمية خاصة بانعقاده في هذا الظرف بالذات الذي تتعاظم فيه الشكوك وتتزايد التساؤلات وتحف به المخاطر. فالتئام جمعكم الموقر يعتبر إذن أمرا محبذا أكثر من أي وقت مضى لما يجسده من حرص على ربط اسم الله تعالى بالسلام، الذي هو من صفاته الحسنى، ومن رغبة في أن تستعيد الديانات السماوية إشعاعها الحقيقي في مجال الحوار والاحترام للآخر والتحلي بمكارم الأخلاق. ولذا، يسعدني في هذا المحفل النبيل أن أسمع صوت المغرب وصوت ملكه أمير المؤمنين في التشبث بما جاء به الإسلام من قيم العدالة واحترام الحياة والتضامن الإنساني والإصغاء للآخر.

وإن الإفصاح عن هذه المعتقدات بالنسبة للمغرب، ليس من قبيل الأدبيات الأكاديمية أو التنظيرية، بل هو تعبير ملموس عن حياتنا نحن المغاربة كما نعيشها كل يوم باعتبارها من المقومات الثابتة للمجتمع المغربي الذي عرف عبر تاريخه العريق كيف يحافظ على دينيه مفهوما وممارسة ويتجاوب مع زمانه وما يفرزه كل

عدالة
adala.justice.gov.ma

عصر من إكراهات دون التفريط في أي قيمة من القيم الإنسانية التي لم يفتأ المغاربة يستلهمونها ويستنيرون بها.

فالموقع الجغرافي للمغرب جعله ملتقى للتعددية الثقافية والحضارية منفتحا على ثقافات الشعوب المتوسطية خاصة والأخذ باللائق من حضاراتها دون حرج في معايشة هذه التعددية إيمانا منه بكونها قوام غناه الحضاري. وهذا ما مكن بلدنا من أن يضطلع بدور مهم في محيطه الجهوي والعالمي ومن أن يستجيب كلما دعي إلى ذلك وبكل ما في وسعه للإسهام في أي مبادرة دولية لتحقيق السلام والقضاء على التوتر ودعم أي مفاوضة أو حوار لإحلال السلم محل النزاع.

وإن التاريخ المعاصر ليسجل باعتزاز أن والدي المنعم جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه، كان رائدا في انتهاج سبل الحوار ثاقب النظر في كل مواقفه متشبثا بالقيم الروحية والإنسانية وتحكيمها في كل النزاعات الدولية جاعلا من الحوار والاعتدال والجنوح للسلم ومناصرة الحق قوام مذهبه في الحكم واضعا مكانته الروحية والزمنية كملك أمير للمؤمنين في سبيل ترسيخ ثقافة الوفاق والتفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب مما جعله، رحمه الله، مثالا يحتذى به ومرجعا في التقريب بين الأديان والحضارات والثقافات وبذل المشورة والرأي السديد في كل المعضلات بما شهد به الجميع بمن فيهم الذين كانوا خصوما ثم أقروا بما كان لجلالته من بعد نظر وصواب وحكمة وريادة.

حضرات السيدات والسادة،

لقد كثر الحديث عن صدام الحضارات الذي قيل إنه سيطبع القرن الحادي والعشرين مثلما تميز القرن التاسع عشر بالمواجهات بين القوميات والقرن العشرون بصراع الإيديولوجيات، إن هذا الطرح الذي تغذيه وتؤججه كل المخاوف، إنما هو فخ يحاول أن يوقعنا فيه من يرفضون مواجهة المعضلة الحقيقية التي يطرحها زمننا المعاصر، زمن الإذعان لمنطق الهوة الروحية والفلسفية الذي ينذر بالسقوط في الكمين الذي نصبه الأعداء الحقيقيون للعقيدة سواء كانت عقيدة إسلامية أو يهودية أو مسيحية.

وإن الذين يحاولون تأليب بعضنا على البعض واستعداء ثقافة على أخرى ودين على دين هم دعاة الظلامية والتقهقر الذين يحاولون أن ينسونا أن الديانات السماوية التي هي جميعها جوهر رسالة إبراهيم الخليل عليه السلام في الإيمان بالله الواحد الأحد قد جاءت كلها برسالة الإنقاذ للإنسانية والعمل على تقدمها المناهض للهمجية والعنف والتطرف.

إن كل شعب ذي دين وحضارة يمكنه بل يجب عليه أن يكون فخورا بما حققه للبشرية من إشراقات. كما يجب عليه أن يقف على جوانب ظله متسائلا بصوت جماعي: ماذا يمكن قوله بخصوص الجرائم التي اقترفتها العديد من الحضارات والتي لم يتجنبها إلا القليل منها؟ فالكثير من الحضارات أطلقت العنان في فترة من فترات تاريخها لنزعة الحقد والكراهية.

وإن استحضار الماضي ليعد شجاعة وواجبا في نفس الوقت على كل حضارة تحترم نفسها. فالإخلاص لقيمنا حتى عندما تتهددها الديماغوجية والشعبوية والجهل هو قوتنا ومنبع هويتنا وافتخارنا.

كما أن مقاومة الذين يتاجرون باسم الدين هي أمانة ملقاة على عاتقنا.

أجل، إن أجدر الناس بالحوار اليوم، لهم الذين يشتركون في الإيمان بالله الواحد وبالكتب السماوية المنزلة التي أكدت كلها مسؤولية البشر جميعا أمام خالقهم يوم الجزاء ومساواتهم فيما بينهم وأن الله تعالى جعلهم مختلفين شعوبا وقبائل وألوانا ولغات ليتعارفوا لا ليتناكروا ، كما أدانت تلك الكتب المقدسة الظلم والعدوان في كل صورهما داعية إلى التآخي والتضامن في نشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

فهذه القيم المشتركة بين أديانا كلها تمكننا إن نحن استطعنا تفعيلها في سلوكنا السياسي والاجتماعي والثقافي من أن نصنع عالما جديدا ينعم بالأمن والاستقرار والتفاهم والوفاق. وأعتقد أن ملتقاكم هذا إنما تم في سياق استشعاركم للضرورة الملحة لتفعيل هذه القيم.

حضرات السيدات والسادة،

إذا كان الذين شاركوا في هذا الملتقى قد عبروا بصدق وإخلاص عن دعوة الإسلام إلى السلم والحوار والتعايش الإنساني الأمثل، فإني آبى إلا أن أؤكد ما سبق توضيحه وهو أن الإسلام يجسد هذه القيم كلها جوهرا ومنهجا في خطابه، وذلك بدعوته الواضحة في القرآن الكريم إلى الحوار بالمنهج العقلاني في قوله تعالى: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله" صدق الله العظيم.

ولذلك أصبح لزاما على كل مهتم بالحوار الديني اليوم من جانب غير المسلمين أن يطلع على القيم الإسلامية في مصادرها الثابتة وعلى تاريخ الإسلام الحضاري الذي رسخ تلك القيم في مجتمعاته ولاسيما المجتمعات التي اختلط فيها المسلمون بغير المسلمين في الشرق أو في الغرب. وهذا هو المنهج الموضوعي لإدراك صورة الإسلام الناصعة وعدم الانخداع بما تروجه بعض وسائل الإعلام المغرض من مزاعم إلى حد رمي الإسلام بكونه دين الإرهاب والعدوانية والتعصب انطلاقا من ممارسة الأشرار المتطرفين المنحرفين عن جادة الإسلام الحق الذين لم يخل أي دين من أمثالهم. فالحوار بين الأديان يجب أن ينطلق من المعرفة الصحيحة ومن الحكمة والتبصر والتواضع لأن الاستعلاء والكراهية والتعصب هم أعداء كل حوار هادف وبناء.

إن الحوار بين الأديان هو الوجه الآخر للحوار بين الحضارات والثقافات، وهو من مسؤولية جميع المؤمنين مثلكم بأن الحضارات الإنسانية لم تكن أبدا في موقع الصراع فيما بينها لأنها كانت على الدوام حضارات متكاملة فيما بينها ومتفاعلة ومتلاقحة إلى حد أنه لم توجد حضارة منغلقة على ذاتها أو مستغنية عن عطاءات الحضارات الأخرى.

وإذا كانت الحضارات كلها قد انبثقت من ينبوع العقيدة الدينية أو ما يماثلها، فإن الحوار بين الأديان الذي يعد خير مدخل للحوار بين الحضارات والثقافات يستلزم انفتاح العقل والخيال كما يتطلب التحلي

عدالة
adala.justice.gov.ma

بروح المسؤولية وقوة الإيمان وبالإرادة القوية في مقاومة كل ما من شأنه أن يمس حريات الأفراد وحقوقهم باعتبارهم ينتمون إلى نفس المجموعة البشرية.

وإنني لأستحضر في هذا الصدد وبكل مرارة من موقع مسؤوليتي كرئيس للجنة القدس الشريف المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي ما تعانيه مدينة السلام وملتقى الأديان الثلاثة مدينة القدس الشريف، معبرا عما ينتاب كل المؤمنين اليوم من مشاعر الأسى والإحباط من جراء الممارسات العدوانية للحكومة الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني الشقيق المتنافية مع القيم الدينية والأوفاق الدولية، داعيا جمعكم الموقر إلى الوقوف بجانب هذه المدينة الجريحة باعتبارها مدينتنا جميعا من منطلق حرصنا على أن تظل مدينة للتآخي بين الأديان والتعايش النموذجي بينها، وأعتقد أن ملتقاكم هذا قد استشعر المسؤولية الجسيمة الملقاة على كاهلنا جميعا في أن نجعل من كل ملتقى أو ندوة حول حوار الأديان والحضارات بمثابة خطوة جديدة تنطلق مما رسخته الخطوة السابقة بل وتضيف إليها لبنة أو لبنات في بناء صرح التفاهم والتعايش الإنساني.

وهذا ما عبرت عنه في اجتماع المنتدى المتوسطي الذي انعقد بأكادير لبلورة موقف مشترك من أسباب وتداعيات الاعتداءات الآثمة لحادي عشر شتنبر الماضي، حيث أكدت على ضرورة قيام حوار دائم ومهيكل واستراتيجي بين كل الدول يقوم على أساس احترام حقوق الإنسان في الحرية والكرامة والعيش الآمن دونما تمييز بين الأجناس والأديان والثقافات والأوطان والعمل على إخماد كل بؤر التوتر المشتعل ومكافحة التعصب المدمر للاستقرار والسلام في العالم حيثما كان.

وفي هذا السياق، أود أن أجعل خاتمة رسالتي إليكم اقتراح انعقاد ملتقى موسع للحوار بين الأديان والثقافات خلال السنة المقبلة بالمغرب.

وستسعد المملكة المغربية، أرض الحوار واللقاءات، باحتضان هذا الملتقى لمواصلة العمل وتعميق أسس التفاهم واستتباب السلم والحوار على أن يتوج هذا الملتقى بصياغة ميثاق أخلاقي بين الأديان السماوية من شأنه أن يرسخ العمل بكل القيم المشتركة بين أديانا ويجسد تطلع شعوبنا على اختلاف مذاهبها إلى بناء غد آمن تنعم فيه البشرية جمعاء بالسلام والطمأنينة. وستجدون دوما في المغرب وفي ملكه أمير المؤمنين بما عهدتموه فيه من تشبع بالقيم الدينية والإنسانية المثلى للحرية والسلم والإخاء والتضامن بين الناس وصيانة كرامتهم، خير سند ومعين على ما تتوخونه من لقاءاتكم التي أبارك مقاصدها النبيلة سائلا الله جلت قدرته لكم التوفيق والسداد لنيل رضوانه تعالى وثوابه على خدمتكم للإنسانية وتحقيق وحدتها الروحية وسعادتها الأبدية.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته".